

# منهجية تدريس اللغة العربية

للأستاذ:

محمد حمزة

## — القسم الأول —

فيه الا اثناء متلفا من غفار مكسور لا يرتفع ولا يشعب ،  
ولا يعاد طينا ، فهو لا يطمئن الى حال ولا يهدا له  
ضمير يفلو في جهالته ، ويركب متن غروره ، وتستقيم  
عليه معالم القصد ، تعاوده العلة فيقبع قبوع القنفذ ،  
وينتكرس بين امواج الحيرة ، يقذفه الريب فيتلقاه الشك ،  
وتعيبث به الظنون . ذلك ان الانسان مخلوق ادبي لا  
تنمو قواه المعنوية الا بفعل مميّز يظهر اثره عليه ،  
بخلاف الحيوان الذي يجعل همته في نمو جسمه ، فلا  
يكفى ان يربى الانسان بالاحوال الطبيعية التي تحكم  
تربية الحيوان . بل هو مضطر لزوما الى احد من بنى  
جنسه يعرفه الغاية الانسانية . وياخذ بيده نحو تربية  
روحه وعقله ، ولذلك التى الله سبحانه في قلوب  
الوالدين رافة طبيعية وحدا غريزيا . ومحبة فطرية  
الى ابنائهم .

والمواطنة الصالحة لا يقوم لها ساق . ولا تنهش  
لها حجة . الا على التربية السليمة التي هي مناسط  
عوامل التقدم الاجتماعى . والسير به في مدارج الكمال  
على ارض سيلة . وطريق لاحب . ومقدر تطور الزمن .  
وتعدد مسارب الحياة . تعقدت امور العيش ، وازدادت  
اهمية التربية في عين الناس . فشغلوا باعداد ابنائهم  
عن طريقها اعدادا يضمن لهم السعادة في الدارين  
بمراعاة الجوانب المختلفة لانسانية الانسان . وتعهدوا  
بالذكاء الطيب والاتقاء السليم .

ونحن اليوم اذ نستورد كثيرا من نظريات الغرب  
في شتى حقول المعرفة . يجدر بنا ان نمثلها ، ونمثلها  
ولا يغنيا ترديدها بقدر ما تغنيا الاستفادة منها ،

المناهج التربوية من الامور التى يعنى بها الافراد ،  
والجماعات ، والحكومات منذ اقدم العصور ، والفرد  
فى المجتمع البدائى يحلم دائما ان يورث ابنه ما عرف  
هو عن البيئة التى يعيش فيها ، والحياة التى يحياها ،  
فلا يفتأ يدرسه ويعلمه ويوجهه منذ الطفولة حتى الرشد ،  
وحتى يطمئن الى انه قادر بعده على حمل الامانة ،  
ومغالبة صعاب الحياة التى يحس بها هو (1) ، فان  
فشل فى تلك المهمة خاس به الزمان وصار مأساة كاملة  
الفصول ، وقضى حياته مستقيما دنفا ، تعصره الكروب ،  
وتتقطع احشاؤه لهفا واسفا ، وتفتنى ايامه بالحصرة  
واعوامه بالتأوه ، وتتحول غضاضته الى تحمل القبط ،  
وتعمى مذاهبه ، وتظلم كواكب غسقه ، وتتقول عليه  
شفاه الكذب التى تنطق بالصلف ، والباؤ ، والكبر ،  
والازدراء ، ويصبح هزؤا لاخلائه ، لان حق البائس  
فى راي المسعود الاهانة ! كما لو كان جمرا تحت  
رماد ، أو بابا خارجيا لا يصدر ريحا ولا يرد عاصفة ، أو  
قبرا يلوث ناقله ، ودلوا منقورا يبلل حامله ، أو كما  
لو كان عارا اى عار ، أو سوءة شنعاء ومعرفة دهماء  
باقية فى الاعقاب ، اما ذووه فلا يرون فيه الا داء عياء ،  
أو حريقا مخوفا ، أو دينا فادحا ، لتخطيه فى احوال  
الجهل ، وضباب الغواية ، وفراغ التجربة ، وهو  
اذ لم يوفق له نمط من انماط السلوك يلبسه ويرضاه  
له مجتمعه واسرته ، صار عندهم بهيمة انعام ، أو  
فرسا يحيا بغير فهم زينته الحكمة (2) والرسن يشد  
هما عند جموحه وشماسه وتعذر انقياده ، بل لا يرون



والأخذ بأنسبها وأحسنها ، والنظريات اللغوية الحديثة ينبغي أن تعاش وتمارس في مضمارها وميدانها الذي هو اللغة نفسها ، جملة وتفصيلا ، مسيطرة لغيرها من العلوم سواء بسواء .

وغنى عن البيان أن المدرسين هم صناع الأمة الحقيقيون ، يصوغون مستقبلها بقدر ما يبذلون من جهد وإخلاص في العمل التربوي المنوط بهم ، وهم بذلك يعمسون بالمدارس التي يعملون فيها الصورة الدقيقة لدى النهضة الشائعة في الأمة ، وكذا نوع الثقافة التي تجمع بين ابنائها وتسود تصرفاتهم أقوالا وأفعالا ، والصورة التربوية التي تعكسها المناهج التي تتعهد بها المدرسة بالذبوع والنشر ، تحمل في طياتها التعبير عن الحياة برمتها في البلد الذي تعيش فيه ، وهي بذلك تحمل مسؤولية قصوى في انبساط المجتمع (3) والتربية علم ، وبدونها تصير التجربة والخطأ نزعات اعتباطية ، تصيب مرة وتخطئ عشرات المرات ، وتاريخ التفكير التربوي يمثل سلسلة من المحاولات في سبيل الوصول إلى أصلح الطرق لتربية النشء ، فمنذ أقدم العصور حاول أفلاطون ، وأرسطو ، وشيشرون أن يبينوا لنا كيف ينبغي أن يكون التدريس ، وقد حاول هذه المحاولة رجال في العصور الوسطى منهم القديس اغسطين والامام الغزالي وابن خلدون والقديس توما الاكوييني وفي العصور الحديثة بستانلوتزي ، ومنستوري ، وفروبل ، وروسو ولوك ، وهربارت ، وديوي ، وغيرهم كثير ، كل واحد من هؤلاء حاول جهده أن يقدم لقومه نظرية في التدريس ، وعزز دينه جريا وراء الأصلح اللائق !

واللغة العربية ، وهي لغتنا ، قد اثبتت أنها قادرة على التعبير عن شتى فنون العلم ، وأنها استوعبت ما نقل إليها من علوم أخرى ، في الفلسفة ، وفي الطب ، وفي الصيدلة وفي الرياضيات ، و « ان اللغة العربية هي لغة القرآن ما في ذلك شك ، ولكنها في الوقت نفسه ، لغة الذين يتكلمونها ، فمن الحق عليها ان تستجيب لأصحابها وأن تسير تطورها ، وتجاري حياتهم في ظروفها المختلفة ، وهي قد فعلت في العصور الأولى ، فلم تكذب تخرج من البادية العربية حتى لاعت الحضارة الحديثة ووسعت علومها وفلسفتها ، وحتى تطور أدبها نفسه مع هذه الحضارة ، فأدى في يسر وإسراع ما لم يكن يخطر للأعراب البادين على بال من الخواطر والمعاني

والآراء » (4) ، « ان العربية ليست لغة الشعر والخطابة ، لغة السماويات فحسب ، إنما هي ، بعد ، لغة العلم في انتصاراته ، لغة المختبر في كشوفه ، لغة الفضاء في ريادة كل بعيد ، لغة حية ، لها من ماضيها ركيزة استمرار لمستقبلها ، كأنها النسخ المحيى ، يمتد عبر جذور غلست في ظلمة الثرى إلى فروع ذهبت غصونها في الجهات وفي العلو ، مصابيح رؤى تؤكد أن للعرب في تربة الشعوب شجرة ، هي السدرة بين الشجر الطالع من تراب الأرض » (5) ، ونحن اليوم إذ نريد بعثها يتوجب علينا احترامها ، وعدم ظلمها بحشر الالفاظ وتركيم العبارات قبل أن يسرى فيها مائة العربية ، وقبل أن تشرب روح هذه اللغة .

ان وظيفة اللغة وظيفية مجتمعية ، ولا يمكن أن تفصل اللغة عن المجتمع لأنها منه واليه ، واللغة لا تعيش لوحدها كتخفة من التحف أو أثر من الآثار التاريخية ، حياة اللغة برواجها بين الناس كالسلع تباها ، تغلو وترخص حسب الأسواق ، وضمان سلامتها هو أول ضمان لبقاء العلم والثقافة ، فاللغة إذا اطمأنت أنها لا يكيد لها كائد ، سارت في أمان وسكينة ، كالكفاشي يشعر بالاستقرار والاطمئنان ، ولكل مجتمع طابع وروح ، واللغة ترقى برقى بيئتها ، وتنحط بانحطاط أهلها ! وتتحصر وظيفة اللغة الاجتماعية في أمرين هاميين :

الأول : أمر فردي هو قضاء حاجات الفرد في المجتمع ، ولذلك يقال : ان الإنسان لا يعرف إلا باللغة لأنها المميز الوحيد الذي يميزه عن غيره من الموجودات وهو ما يرمى إليه المناطقة حين يقولون : « ان الإنسان حيوان ناطق » وما يقصده علماء الاجتماع إذ يقولون : « ان الإنسان حيوان اجتماعي » لأنه يتواصل مع غيره من بنى الإنسان بواسطة الكلمات والالفاظ التي يصور بها أفكاره ، وما يتردد في وجدانه وعقله .

الثاني : أمر اجتماعي بحث ، هو تهيئة الوضع المناسب والملائم لتكون مجتمع ما ونشوء حياة اجتماعية ما ، وهنا تصبح اللغة ، مسموعة كانت أو مكتوبة ، مصدرا عظيما من مصادر الحصول على المعلومات ، وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع ، واللغة تزدد أهميتها في المجتمع كلما ارتفع مستواه الحضارى وضرب في حقل التقدم بنصيب .

و « قد ظلت اللغة فيما مضى قرونا عدة ، وهي



فانعة بمجال محدود في البحث العلمي ، لا تكاد تتجاوز  
أو تتعداه ، حتى تنبته الأذهان إلى ما تضمنته الكلمات  
من دلالات ، وبدا الدارسون يرون في تلك الدلالات الغاية  
والهدف من كل لغة ، وأن اللغة في حقيقتها لا تعدو أن  
تكون وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الإنساني ،  
يربط بين الأفراد ، ويربط بين الجماعات ، ويربط بين  
شعوب . وبذلك أخذ اللغوي الحديث يدرس اللغة  
في ضوء الحياة الاجتماعية ، وظهر له بوضوح دور  
اللغة في تشكيل المجتمع وتنظيمه » (6) .

واللغة تظهر في طبيعتها ، وتبدو في كل فرد ،  
حيث لا يمكن أن تراه يخبز ، وينسج ، ويزرع ، ويفلح  
الأرض ، ويدرس ويطلب في آن معا . ولذلك يلجأ  
الإنسان إلى غيره من أصحاب الحرف التي لا يمارسها  
هو ، فيتصل بهم لقضاء مآربه بالتفاهم معهم بوسيلة  
الاتصال التي هي اللغة ، والوجود البشري يعتمد على  
الكيان اللغوي اعتمادا كبيرا ، ولو سلمنا جدلا أن الله  
سبحانه علم آدم اللغة أو علمه أسماء كل شيء حتى  
القصة والقصيدة ، فإن ذلك إنما تم لتكون اللغة  
مبثوثة بين الناس ، فورثها آدم من خرجوا من ظهره ،  
فنشكلت وتنوعت كأي كائن حي في هذه الدنيا . فأصبحت  
بعد صلة الوصل بين البشر . واللغة هي إحدى وجهي  
الفكر ، كأحد وجهي الدينار ، والذي لا يمارس لغة  
قومية تامة صحيحة لم يكن له أي فكر قومي صحيح .  
والأفكفي يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، أو دين بلا لغة ،  
أو أدب بلا لغة ، أو علم بلا لغة ؟ ! !

والقاسم المشترك في كل ذلك هو الحياة الاجتماعية  
التي لا تنقسم بسمة الإنسانية إلا بوجود اللغة ، ذلك  
أن تحليل أي فكرة أو صورة ذهنية ، أو معطى من  
معطيات العلم إلى أجزائه وخصائصه ، لا يتسنى إلا  
بالتوصل باللغة ، فينتأى بذلك تركيب الصورة مرة  
أخرى ، فاللغة تخضع لعوامل كثيرة نفسية واجتماعية ،  
ويزداد هذا الخضوع بازدياد الرغبات عند الإنسان ،  
ونمو مطالبه ، واللغة تتسع وتنمو وتنوع بقدر ما  
تسمح به البيئة والمجتمع ، أما نواحيها الوظيفية فضاربة  
في أعماق النفس الإنسانية التي لا تحيا قوة وفعلًا  
بأي نشاط سوى النشاط اللغوي ، ويمكن تلخيص تلك  
النواحي فيما يلي :

1 — أنها تزود المرء بأدوات التجديد الفكرى  
والتأمل ، وهو ما نفتقده عند الكثرة الكاثرة من

شبابنا وتلاميذنا ، وهو ما يشكوه مدرسو  
الفلسفة ، مثلا ، لعدم استطاعة التلاميذ التعبير عن  
مكتون صدورهم عن معطيات في الفلسفة ، والمنطق ،  
والاقتصاد « فالتجريد أعلى درجات القوى العقلية  
التي يصل إليها الحيوان المفكر ، فالفاظ المعانى البحث  
كالحياء والقدرة ، والشجاعة ، والمروءة ، إنما تدل  
على تصور المدركات العقلية المجردة عن المادة ، أي  
تدل على معان جردها العقل عن الأشخاص والأشياء  
التي تتصف بها » (7) وتعتمد ثقافة الإنسان باللغة  
اعتمادا كبيرا ليعبر عن مثل هذه المعانى ، ويظهر أنه لا  
أحد ينكر الموقف الحرج الذي يقفه وهو يسمع ناسا  
يتحدثون لغة لا يفهمها ، وكما مرة نكرم متعة تذوق  
قصيدة من القصائد لجرد ورود كلمة أو كلمات فيها  
لا نفهم معانيها !

2 — أنها جسر العبور لأفكار الناس ، عن طريق  
الكلمات المنطوقة أو المكتوبة أو المسومة ، سواء أكان  
الاتصال بسيطا سهلا كما في مخاطباتنا في حياتنا اليومية  
العادية ، ونحن نتحدث عن مأكنا ومشربنا وذهاننا  
وجيئنا ، مثلا ، أو غير ذلك من الأشياء المحسوسة  
المادية الممتلئة في الصورة الواقعية التي تتم عنها كل  
كلمة من كلمات مخاطباتنا ، وسواء أكان الاتصال معقدا  
رغيفا ، حيث تتعدى اللغة المجالات الحسية إلى  
مجالات أخرى ، أرحب وأوسع من الإنسان نفسه :  
إلى حالات نفسية متشعبة تنشأ عن ردود فعل في  
الاعصاب ، وضغط في الدم الذي يعمل تحت إمرة الدماغ  
ولغة كل امرئ تكون بمقدار مستواه الفكرى ، ولذلك  
يقال : « العقول الكبيرة تناقش الأفكار ، والعقول  
المتوسطة تناقش الأحداث ، والعقول الضعيفة تتحدث  
في شؤون الناس » ، ف لغة العلماء والمثقفين ليست هي  
بلغة سواء الناس ، فالعلماء والمثقفون يتفاهمون فيما  
بينهم بكثير من السهولة ، ويحدث العكس لو خاطبوا  
الجهال والعوام ، ولقد كان الشاعر العربى محقا  
حين قال :

الصنف بالصنف في الأشياء منطبع  
والخير ويحك فى الأزال ممتنع  
أرسل الوغد للوعدان بليت به  
أن العليور على أجناسها تقع

3 — أنها أصدق شاهد حضارى على الإطلاق ،  
فهي تحفظ التراث الثقافى للأمم ، جيلا بعد آخر ، فلو  
اللغة مكتوبة ومنطوقة ، ما أصلنا شيء من أخبار



لا تمدحن امرا حتى تجربيه  
ولا تذمنه من غير تجربيب

6 — انها الرافد الاكبر للقوى العاقلة ، وهى عضدها الاول ، وساعدها الايمن ، وقوتها المحركة ، فيفضل اللغة يزيد نماء الفكر ويمتد اهابه ، وهى غذاء للروح واطيب زاد للعقل ، فيها يتسع الخيال وتبمد النظرة ، وكلما كانت ثقافة الانسان للغة راقية كان فكره ارقى ، ولا يخفى ان لغات البدائيين فقيرة او تميل الى ذلك ، لان بيئاتهم ومدرقاتهم ساذجة محدودة ضيقة ، ونلاحظ ذلك او شبيها له عند العوام او الجهال ، فانهم يغضبون عند ما تمازجهم ، لاتفه الاسباب ، ولاقل الالفاظ اقذاعا ، لضعف تصورهم لما وراء الالفاظ ، ولمعم تمرسهم بالسخر الفنى الذى يتم عن طريق الفاظ اللغة او الكلام ، والانسان يطل باللغة من كوة الآداب والعلوم ، على عالم تمتد ظلاله بلا آفاق وبلا حدود ، وهو باللغة يتكلمها او يقرأها ، او يسمعها ، يدق خياله وضبطه للاشياء ، وتتسع مداركه ، ويزداد رايه سدادا ، ويطفح علما وحكمة ، ولذلك قال الشاعر :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه  
وتلك له عند الشائد اعوان  
فيأدر الى حفظ اللغات مسارعا  
فكل لسان فى الحقيقة انسان

7 — ان كتاب الله الخالد حين يقول : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » (9) ، او حين يقول : « فذكر انما انت مذكر » (10) انما يرمى الى حقيقة هامة ، وحجة باهرة وامر واقع ، ذلك ان التذكير يكون بالعظة الحسنة للنهوض من الغفلة ، او بالكلمة البليغة للاعتبار لاولى الابصار ، او للتنبيه على امر قد طواه النسيان ، او طغت عليه عواذى الزمان ، وكل ذلك لا يتم الا بواسطة الكلام واللغة ، ولذلك يقول النحاة عند ما يعرفون الكلام : انه « هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه » (11) بحيث لا يصير السامع منتظرا لشيء آخر ، ولا يطلب زائدا على ما سمع ، لان المفيد من الكلام هو ما افاد فائدة تامة وترتبت عليه ، لا عند المتكلم وحده ، بل حتى عند السامع ، لان اولهما يلقي ، وثانيهما يتلقى ، ولا يتصور الثانى من غير وجود الاول وبفهم ذلك من قول القائل :

سلف من الماضين ، وما عرفنا عن القرون الغابرة ، والامم البائدة ، والحضارات الماثلة والفانية ، وما وصلنا شيء من الماثورات الشعبية ، وانقطعت بذلك حبال العاطفة نحو الماضى المجيد ، والعز التليد .

4 — انها وسيلة تساعد المرء على تكييف سلوكه وضبطه ، وكبح جماحه كى يتناسب وتقابل المجتمع وسلوكه ، وكثيرا ما يغضبنا الغمر فنهم بشتمه بالفاظ نابية او مقنعة ، فنعدل عن ذلك الى السكوت ، لما نرى فيها من نشاز ياباه السلوك العام ، او ترفضه الاخلاق ، او يستكنف عنه الدين ، او يمس الآباء والاجداد وما خلفوا ، فالتقاليد هى كل ما انتقل الى الانسان من آباءه واجداده ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات ، والعلوم ، والاعمال ، ولا يصح فى عقل ، او يدور فى خلد ، ان يتم انتقال ذلك او جزء منه ، وصيrote الى الغير ، جيلا عن جيل وعصر عن عصر الا بواسطة اللغة .

5 — ان اللغة استعمال ومزاولة ، وميدان حركة ، ووسيلة حياة ، وهى بذلك تجعل للمعارف والافكار البشرية قيما اجتماعية ، بسبب استخدام المجتمع لها والتواصل بها للدلالة على ما يضطرب فيه ، ويعمل فى احضائه ، انها وسيلة لصبغ الفرد بالصيغة الاجتماعية ، والفرد كلما اوغل فى عضويته للمجتمع اللغوى ، لعبت اللغة دورا متزايدا فى حياته الاجتماعية ، وفى سلوكه واحساسه الشخصى ، اما عضويته الفعالة فى مجتمعه ، فتعتمد مباشرة على قدرته على الاتصال بزملائه ، وقدرة الاتصال بدورها عامل اساسى فى نموه ، باعتباره فردا (8) ، ويظهر ان الذين نسميهم انطوائيين او منزوين على انفسهم ، ما هم فى الحقيقة الا اناس مدفوعون لعدم الاتصال بغيرهم اتصالا اجتماعيا يخولهم الاندماج فى الناس ، والتفتح على آفاقهم ، لاسباب قد تكون نفسية يعكسها عجز ذخرهم اللغوى ، وانقباضهم عند الحديث لقلة تجاربهم احيانا او لخلجهم الذى يسبب لهم انكسارا فى القلب ، او شعورا بالخزى ، ولقد بلغ من قوة الصلة بين التفكير والتعبير ان بعض علماء النفس يرون انها ليسا الا مظهرين لعملية عقلية واحدة ، وان نمو كل منهما وارتقاؤه مرتبط بنمو الآخر وارتقاؤه كل الارتباط ، وان كلا منهما مرتبط بتجارب الانسان وخبراته فى الحياة . فالتجارب محك الرجال ، ولذلك يقول الشاعر :



وقصدنا سكوت من تكلم

وقيل سامع وقيل بل هما (12)

فاللغة هي مفتاح الحافظة والذاكرة ، فقد تذكرنا الكلمة الواحدة نسمعها أو نقرأها بكثير من الامور ما كنا لتذكرها ، بل كثيرا ما نراجع نفوسنا ونقيم سلوكنا لجردة كلمة ، تؤثر فينا ، أو تهز مشاعرنا ، أو تثير عواطفنا ويظهر ان المصحبين ، وهم المجانين الذين يحدثون انفسهم كمن يحدثون غيرهم ، انما كبتوا بحرمانهم عن التعبير والكلام باطمئنان في وقت من الاوقات ، أو ظرف من الظرف ، كالذى يحدث في بعض البيوت حيث يكتم الآباء افواه ابنائهم في صباهم ، بل حتى في شبابهم ، فينشأون على القهر ، والقسر ، وقتل الإرادة ، وهم بذلك تخبو جذوتهم ويكتمون كلامهم ومكنون صدورهم لفقدتهم عنصرها من عناصر الحياة بالنسبة للأطفال اذا ما فتحو عيونهم على هذه الدنيا ، ذلكم هو التشويق والسرور والجمال الذى يعبر عنه بشتى انواع التعبير كالكلام والكتابة والاشارة ، واستساغة اللغة انما يكون بامتزاج عباراتها بالنفس وقوة تأثيرها في القارئ أو المستمع ، ولذلك يقال : « القلوب اوعية الاسرار ، والشفاه اقفالها ، واللسان مفاتها » وقال الشاعر :

انما تنجح مقالة المرء

اذا صادفت هوى فى الفؤاد

8 - ان اللغة من اهم الوسائل لتوحيد التفكير ، ورأب الصدع ، وجمع الشمل ، لان اهل اللغة الواحدة يتكلمون لغة واحدة ، ويكون لهم نسق متقارب من السلوك في التفكير ، بل حتى ادواقهم تتقارب وقد تتحد فيها يحبونه ، وما يكرهونه ، وما يقدرونه وما يميلون اليه وما لا يابيهون له ، قيل ان قبيلتين عراقيتين ذواتى آصرة حدث بينهما نزاع فكان ممن ندب للصالح بينهما المرحوم الشاعر على الجارم ، فقيل انه نجح نجاحا عظيما حين استشهد بقول البحرى :

شواجر ارماح تقطع دونها

شواجر ارحام ملوم قطوعها

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها

تذكرت القربى ففاضت دموعها

فبكى لسماع هذا الشعر رجال القبيلتين وتصالحو (13) ، فاللغة هي التى يتم بها التواصل بين الناس ، فتوحد بين الافراد رغم الفروق التى

تسودهم وكذلك تفعل فعلها في الجماعات ، وهى غوق ذلك مهارة وفن وشعور وتعبير ، وفيها تتجمع خلاصة التجارب البشرية ، للترفيه عن الارواح ، ولتنقيف العقول .

9 - ان اللغة تؤثر في الفكر ، هو يوجهها وهى تقوده ، وهى بذلك وسيلة لايضاح المعانى الغامضة ، وتنسيقها تنسيقا معينا ، اذا خفيت اعلامها وضلت صواها ، أو غام افقتها واستسرت آفاقها « وتأثير اللغة في وضوح المعنى وتنظيمه في ذهن المخاطب امر لا شبهة فيه ، والذى يمارس التدريس أو التحرير ، قد يحس في نفسه معانى مجملة أو مختلطة ، فيأخذ في معالجتها بالبسط أو التنسيق ، وانما يستعين على بسطها أو تنسيقها بكلام نفسى ، وليس هذا الكلام النفسى الا صور الفاظ لغوية تتسرب من قوة الحافظة الى المفكرة ، فللغة تأثير على الفكر من قبل ان يعبر عنه بالقلم أو اللسان » (14) ، كما ان للفكر اثرا في اللغة عظيما ، ولولا الفكر لفقدت اللغة خواصها ولم يكن لوجودها اية فائدة ، وان الانسان لعاطل عن الفكر بطل ان لم تكن له لغة ، لان من خصائص الانسان الكلام المفصل البين المفهوم ، وهو بذلك يقتل الصمت ويزيل العجمة ويطرد الوحشة ، وهو لو عاش بدون لغة لكان كالغول ، يخوف به ولا وجود له على حد قول الشاعر :

الغول والخل والسقاء ثلاثة

اسماء اشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك قال احد الفلاسفة : « الافكار التى لا تودع في الالفاظ كالشرارات التى لا تبرق الا لتضوت » ، والالفاظ يربطها الفكر بمعانيها ، فيعبد اليها وهى اصوات فارغة ، فيردها كالاصداغ تحمل من درر المعانى ما يبهى العقل ، او كالاغصان تحمل من الثمار ما تشتهي النفس وتلذ الاعين ، ويجعلها محفوظة باقية ، ينميها عامل الزمن والمكان بتناقلها أو تدارسها أو تأييدها ، أو تنقيدها ..

فاللغة اذن ، ليست شيئا جامدا عديم الحركة والحياة ، بل ان طاقتها تنمو وتزكو بقدر ما تزاول وتمارس ، واللغة ممارسة وسلوك ، لانها الاداة الطبيعية التى يستعملها الناس ، وهم احياء ، ليتفاهوا ويتعاونوا على تحقيق منافعهم الخاصة والعامة ، فيحققون بذلك دورهم الفردى والجماعى في الحياة ،



لان اللغة جيبوب للافكار ، وأوعية للوجودانات ، بها لها من امتداد في الزمان ، ونهوض بالاداء عن العلاقات المعنوية ، فهي المستودع الاكبر للتراث الاجتماعي ، وما تركه السابقون ، وبوساطتها يتم لهذا التراث الذبوع والانتشار في الناس ، ليصل في النهاية الى

تواصل بين الانسان وربيه والطبيعة ، والكون الذي يعتبر الانسان جزءا منه ، بل ان الانسان ، ذلكم الكائن العجيب الذي قتل الصمت باللغة ، هو تاج الخليقة وبطل الرواية الكونية .

- (1) الاصول التربوية في بناء المناهج ، تأليف دكتور حسين سليمان قوره ، ص 19 ، الطبعة الرابعة ، 1975 ، دار المعارف بمصر .
- (2) الحكمة ، بفتح الحاء والكاف : حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه ، تمنعه عن مخالفة راحبه ، وفي الحديث : « ما من آدمي الا وفي راسه حكمة » وفي رواية : « في رأس كل عبد حكمة اذا هم بسينة ، فان شاء الله تعالى ان يقده بها قدعه » ، ولما كانت الحكمة تأخذ بفم الدابة ، وكان الحنك متصلا بالرأس ، جعلها تمنع من هي في راسه كما تمنع الحكمة الدابة ، وكانت العرب تتخذ ألحكمن من القد ، بكسر القاف ، وهو سيور تقطع من جلد فطير غير مدبوغ ، ومن الابق بفتح الهمزة والباء ، وهو القنب ، لان قصدهم الشناعة لا الزينة ، قال زهير :  
القائد الخيل منكوبا دوائرها قد احكمت حكمات القيد والابقا  
وعن ابراهيم النخعي انه قال : « حكم اليتيم كما كما تحكم ولدك » اي امنعه من الفساد وأصلحه كما تصلح ولدك ، وكما تمنعه من الفساد ، قال : ونرى ان حكمة الدابة سميت بهذا المعنى لانها تمنع الدابة من كثير من الجهل ، وقوله تعالى : « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » معناه ان آياته احكمت بالامر والنهي والحلال والحرام ، ثم فصلت بالوعد والوعيد ، فأياته احكمت وفصلت بجميع ما يحتاج اليه من الدلالة على توحيد الله وتثبيت نبوة الانبياء وشرائع الاسلام ، يدل على ذلك قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . اللسان ، مادة « حكم » .  
والرسن ، بفتح الراء والسين : هو الحبل الذي يقاد به البعير وغيره ، ويكون عادة على الانف ، قالت عائشة رضي الله عنها ليزيد بن الاصم ابن اخت ميمونة وهي تعاتبه : « ذهبت والله ميمونة ، ورمى برسك على غاربك » اي خلى سبيلك ، فليس لك أحد يمنعك مما تريد ، اللسان مادة « رسن » .
- (3) الاصول التربوية في بناء المناهج ، ص 23 .
- (4) خصام ونقد للدكتور طه حسين ، ص 182 ، الطبعة السادسة ، يناير 1975 دار العلم للملايين ، بيروت .
- (5) من مقدمة الشيخ عبد الله العلايلي للسان العرب المحيط لابن منظور ص ، ج اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ، كانون الثاني 1970 شوال 1389 دار لسان العرب ، بيروت .
- (6) من تصدير للدكتور ابراهيم انيس لكتاب « اللغة في المجتمع » تأليف م ، م ، لويس ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، ص 3 دار احياء الكتب العربية 1959 .
- (7) المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ، بقلم عبد المجيد عابدين ص 16 الطبعة الاولى 1951 ، مطبعة الشيكشي بالازهر بمصر .
- (8) اللغة في المجتمع ، ص 31 .
- (9) الآية 55 من سورة الذاريات .
- (10) الآية 21 من سورة الفاشية .
- (11) مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لجمال الدين ابن هشام الانصاري ، ج 2 ص 419 ، حققه وخرج شواهد الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله — راجعه سعيد الافغاني — دار الفكر الحديث ، لبنان .
- (12) حاشية أحمد بن محمد بن حمدون السلمي المعروف بابن الحاج على شرح الشيخ خالد الازهرى على متن الاجرومية ، ص 12 ، الطبعة الثانية ، 1351 هـ ، مطبعة المعاهد بالقاهرة .
- (13) اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ، ص 340 ، 341 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 .
- (14) دراسات في العربية وتاريخها لمحمد الخضر حسين ، ص ، 12 المكتب الاسلامي ، مكتبة دار الفتح ، دمشق ، الطبعة الثانية 1380 — 1960 م .